كـــاتـــب وكـتـــاب

"مقامة الكيروسين" .. انتهت عند السارد، ابتدأت عند المتلقي

طه حامد شبيب
روائي

تاركاً صاحبه يتخبَّط في حيرته، فرّ الحمار بعربة الكيروسين وصنبورها مفتوح يدلق السائل الملتهب على وجه الشارع الطويل الذي لانهاية له. فرّ ملتحقاً بالجموع التي فرت قبله مخلفة نُعلها وراءها فازعة تهرب امام رتل عسكري أجنبي عبر جسد المدينة بغته ، هكذا ، مع آذان المغرب، كان ذلك مشهد القدحة الذي

احتاجها قبل الشروع بكتابة أي شيء من رواياتي ..مشهد سأغفو عليه عامين كاملين حتى صيغ في رأسي السؤال المربع الذي سألح به مشغل رواتي "مقامة الكيروسين": كيف نصب الفخ بتلك الدقة المتناهية لينتهي الامر الى احد خيارين: إما مقاومة القوات الغازية والإبقاء على الحاكم الجائر يعبث بالارض فساداً وبالنفوس خراباً وإما غض الطرف والإنكفاء والقبول بالبساطيل الاجنبية تهشّم أضلاع الوطن ثمناً للخلاص، لم يمنح الفخ القاسي اولئك الفازعين الهاربين امام الرتل الاجنبي مهلة للتفكير بهذا السؤال..مهلة للبحث عن خيار ثالث ، المهلة الوحيدة التي حظوا بها هي الفترة التي استغرقتها هرولتهم وهم يهربون . ما كانوا اذن يخشون الموت إ هربوا ، فالسارد في الرواية يقول إنهم من شعب وُلد مع الموت من بطن واحد..هذا الشعب والموت تؤامان..اقول ما كانوا يخشون الموت وهم على تلك الحال وانما ارادوا ان يقتطعوا لأنفسهم من سرابيل الزمن جذاذة يتعلقون بها للخروج من بركة الحيرة بحثاً عن الخيار الثالث.

كان علي ان ابني رواية تكون بمثابة حكائية الحيرة، حكائية المحنة ، حكائية الفخ ، ثم أدور بها على البلدان أنشدها على ربابتي بصوت يأخذ بالقلوب ويهزّ العقول..صوت يصرخ: إحذروا ياشعوب الارض الفخ الذي نصب لهؤلاء القوم..إياكم ان تسمحوا لعميل ان يحكمكم فلا تدرون في اية ساعة يسلمكم والوطن لأسياده ..موتوا جميعاً لإزالته عن كرسيّه فذلكم تالله أقل خسارةً من الانتظار حتى تقعوا في الفخ اللعين.

والمخيلة معطاء اذا تشرب صاحبها الحقيقة الخالصة ، فإذا بقاعة صماء عَطنة الهواء تقوم أمامي يحشر فيها رجال ونساء وشيوخ وأطفال حشراً، واذا بصغيرة تولد هناك واذا بصغير يفطم هناك..أخوان بالرضاعة شبا سيكونان بطليَ حكائية المحنة. اقتسما الوجع رضاعاً من صدر واحد، فإلى مَ سيصيران؟ انهما شاهدان لاريب وفاعلان لاريب ايضاً .أكانا شاهدين مؤكدين ام مفترضين؟ هذا لايهم ، فالافتراض تأكيد اذا اتفق عليه الجميع ودعمه، لقد فسحت آلية السرد القائمة على ثنائية الافتراض / التأكيد أن المجال واسعاً امام المتلقي لكي يدلو بدلوه في بناء رواية (مقامة الكيروسين)، فحين يقول السارد بأنه يفترض كذا وكذا في المشهد الفلاني فهذا يعني انّ آفاق المشهد غير مغلقة..غير محددة بحدود واضحة..منفتحة على مداخلات المتلقي..انها دعوة للمتلقي ان يأتي بما يتوفر عليه من كل ماهو مؤكد لدعم الافتراض الذي ترسمه مخيلة السارد. ولا اظنها دعوة وحسب بل ربما اعتراف بعجز السارد (الباث) عن الاحاطة بجميع تفاصيل الكارثة. أي ان تقنية (ثنائية الافتراض/ التأكيد) السردية لاتصح إلاّ في رواية تتحدث عن واقعه تفوق تفاصيلها قدرات مخيال السارد، وفي الوقت ذاته يكون شهودها القراء انفسهم إما بالعيان أو بالضمير ، وعلى اية حال لابد من ان هذه التقنية والسردية قد اسهمت بإضافة نوعية لنظرية التلقي.

الاخوان بالرضاعة المتقاسمان في امرأة واحدة الشاهدان والفاعلان في آن ، حالها حال المرأتين اللتين أكملتا المشوار معاً حتى أتاهم جميعاً اليقين بأنّ الزمن على الرغم من ثقله عليهم فهو يعدو ، ولايعدو اذ يعدو إلاّ في مسار دائري لايأتي بالجديد. فغدهم الذي أتاهم بعد أكثر من عشرين عاماً على تجرّع عصارة القهر الانساني لايعدو ان يكون نسخة طبق الاصل عن يومهم الفائت، كانت الرواية في بنائيتها تلهث للإمساك بذلك الزمن الدائري..الاحداث تتقافز فوق الاسوار الفاصلة ما بين الماضي والحاضر والمستقبل ، وليس ثمة من لاجم لها. فإذا كان لـ (حمامة) من العمر عشرون عاماً في بداية مشهد ما فأنها قد تظهر في نهايته رضيعة لم تكمل فصالها بعد. واذا بدت (أم غائب) غاذّة الخطر مغاضبةً وهي تطوي الشارع العام نحو (الفرقة الحزبية) فإنها انما كانت تخوض في رهج الصحراء التي التقت مبنى المعتقل قبل عشرين عاماً.. أي ان المشهد يظهرها في الماضي والمستقبل في الوقت ذاته.. كان لابد للسارد ان يفي بتعهده لشخوص الرواية بأن يكون مخلصاً بل مذعناً لفهمهم طبيعة الزمن، في الواقع انهم هم الذين كانوا يمسكون برسن القصّ لا السارد .فذلكم هو ينتقل بكاميرات أنى اندفع احدهم. لا تفقد الاحداث منطق حدوثها لديهم، لأن حيواتهم لا اول لها بعينه ولا آخر بعينه : آخرها أول وأولها آخر، بوسعهم رصف أحجارها كيفما شاءوا من دون ايما غضاضة . زمنهم لم يكن دائرياً وحسب وانما محايد في الواقع..متفرج عليهم..لا معنى له. الزمن لامعنى له اذا تشابهت احداثه واستقرت على طبيعة واحدة.

وقد استقرت لديهم وكان عنوان طبيعتها القهر. العنوان ذاته لماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم فماذا تبقى لزمنهم من معنى؟! وكاد القارئ (المتلقي) ان يقطع بذلك لولا (حمامة) التي انتقضت على ذلك المفهوم و(أم غائب) التي ساندتها . لقد لوتا عنق الزمن فأخرجتاه عن مساره الدائري تضعانه على سكّة فوق خط مستقيم يتجه صوب السماء، حين انتزعتا لنفسيهما ولمن حولهما من أهل المدينة فرصة إسقاط النظام الحاكم..انتزعتا تلك الفرصة من قبضة القوات الاجنبية وكان على سارد (مقامة الكيروسين) ان يحتفي ببهاء تلك اللحظة ، فاحتفى بقربانين:أم علي وأم غائب العجوزين وبراية شابة مغسولة من أدران الماضي ترفرف على المبنى المحرر..مبنى الفرقة الحزبية.

ولأن لا احتفاء بمن يخرج على الفخ باحثاً عن الخيار الثالث، كما يحتم ناموس الراهن الجديد، كان الظلام حاضراً بتمام حلكته يعربد بوجه (حمامة) ومن معها من محرري المبنى الحزبي ..المبنى الرمز: انتم ملفوظون..ملفوظون..انتم خروج على النص ولا شيء سوى ذلك.

هكذا انتهت الرواية عند السارد وابتدأت عند المتلقي..

حيـــاة خـصـبـــة.. لـ ريـتـــشـــارد بـــريـــس

ترجمة : عمار كاظم محمد
عن النيويورك تايمز

في روايته الأخيرة (حياة خصبة) يقدم لنا بريس مواهبه الكثيرة معا ليخلق أقوى عمل أنتجه حتى الآن الرواية التي ترينا تعاطفه ومعرفته وكل مهاراته روائياً وكاتب سيناريو ، نثره الوجداني القوي ، احساسه السينمائي بالحركة ، معرفته العميقة لخبايا واسرار شخصياته . ان رواية حياة خصبة تقدم لنا صورة مجسمة لزاوية صغيرة من مدينة نيويورك (الجانب الشرقي المنخفض منها قبل عدة سنوات) في تلك النقطة من الزمان حيث بدأ الهيبيون الشباب يخرجون مهاجرين وعمال فقراء حيث تلتقط الرواية جاذبية واغراء مدينة مانهاتن للحالمين والتائهين وقدرة تلك المدينة على تحطيم الضعفاء وغير المحظوظين وتحويل احلامهم الى خيبة وغضب كواحدة من أحد مبادئها الاساسية.

حياة خصب هي رواية ترقب وهي تمتلك كل عناصر التوتر التي تتطلبها رواية بوليسية حيث تدور حول رجال الشرطة ومروجي المخدرات تتجاوز الرواية الصيغة الاستطرادية للعرض مثل رواية " سي أس آي " ورواية " القانون والنظام " والتي لديها بدايات تقليدية ووسط ونهاية بينما رواية " حياة خصبة " تبدأ بجريمة قتل وتنتهي بالقبض على رجل مسلح واعترافاته لكن اسلوب الرواية السردي ينتفض خارج تجاذبات هذه الجريمة لترينا استمرارية هذا القتل في حياة اي واحد متورط من عائلة الضحية الى شرطة التحقيق ومن مجموعة الشهود والمشكوك بهم الى الجاني الحقيقي الذي يهيئ نفسه وهي تمتد ببطء لترينا تعارض الثقافات بين رجال الشرطة والمدنيين ، الفنانين الطموحين و عمال الأجور ونظرائهم من عمال المشاريع السكنية الذين يسكنون في الجوار ويحدد حتى الطموحات والكوارث العائلية التي تتقاسمها الشخصيات الذين تلتقي حياتهم عشوائيا مع الاحداث.

لكن الذي حدث في ليلة متأخرة من الليالي او فلنقل في صباح مبكر كان مدير مطعم يدعى ايرك كاش الطامح لأن يكون كاتباً وعامل البار الجديد ايك ماركوس و شخص بوهيمي آخر يدعى ستيفن بولوير كانوا يسيرون وهو صديق لـ(إيك) كان قد تعرف عليه في البار ،كان ستيفن سكرانا جدا حينما اطلق النار وقتل ايك في الشارع .

أخبر ايرك مفتش الشرطة ماتي كلارك أن اثنين من السود او من اللاتينيين قد هاجموهم وطلبوا منهم ان يسلموهم ما في جيوبهم حينما رفض إيك ذلك حيث اطلق احد اللصوص النار عليه ولاذو بالفرار .

على أية حال هناك ثغرة في قصة ايرك تتمثل في انه لم يتصل بالشرطة كما ادعى ذلك مثلا وهناك اثنان من شهود العيان الذين قالوا انهم لم يروا اي لصوص ، والاكثر من ذلك كان ايرك يبدو أن لديه حقداً غير مبرر تجاه ايك منذ اللحظة التي التقيا فيها بسبب من ثقته بنفسة واحلامه بالنجاح الادبي حيث جعل عامل البار الشاب ايرك الذي يبلغ ٣٥ عاما يشعر بمقدار فقدان حياته وكيف أنه مازال يعمل في المطعم بعد مرور سنوات عديدة عليه وهو لم يقدم شيئا سوى مسرحية غير مكتملة . كان ايك يذكر ايرك بما يجب ان يكون عليه وكذلك سقوطه بعيدا عن سلم احلامه.

بالتقديم والتأخير بين وجهة نظر ايرك وماتي مفتش الشرطة يقدم لنا المؤلف السيد بريس منظورا متعددا حول جريمة قتل ايك في زواية صغيرة من الجانب الشرقي المنخفض من المدينة .حيث يرينا المفتش ماتي وهو يصدم ببيروقراطية الشرطة ومشاكله العائلية مع ابنه المنفلت مثلما يحاول ايجاد قاتل ايك في ذات الوقت ويهدي من روع والد ايك الهستيري تجاه مصرع ابنه ومثلما يرينا شخصية مثل ارتزان الذي يريد ان يكون رجل عصابات وشاعراً وهو الذي يفرض رأيه في البيت على اخوته الصغار حينما يريد أن يكون خارجا في الشوارع ولعب دور الفخور بنفسه.

كذلك يرينا المؤلف مدير المطعم ايرك مأخوذا بقضية مقتل ايك وهو مايدفعه الى نرجسية عميقة من شعور الشفقة على الذات حيث يتحول احساسه بالاحباط الى مزيج قبيح من الادعاء والاشمئزاز النفسي.

ان العمل اليومي الشاق للشرطة لا يضيء فقط الدوران حول اكتشاف الجريمة متبوعاً بالاعتقال فحسب بل الجهد المبذول لاكتشاف خيوط الجريمة و لمحات الالهام وكذلك الفراغ الروحي لاولئك البوهيميين الذين يعيشون في ذلك العالم الوهمي من البارات والمطاعم ومقدار الضيق والحياة غير المتسامحة في مشاريع البناء حيث يبدو التعامل بالمخدرات واحدا من الطرق القليلة للهروب من المستقبل لبرهة قليلة من الزمن.

كل تلك العوالم من اليأس التي يلتقطها بيرس تمتزج عنده بشكل رائع من الخيال والعاطفة

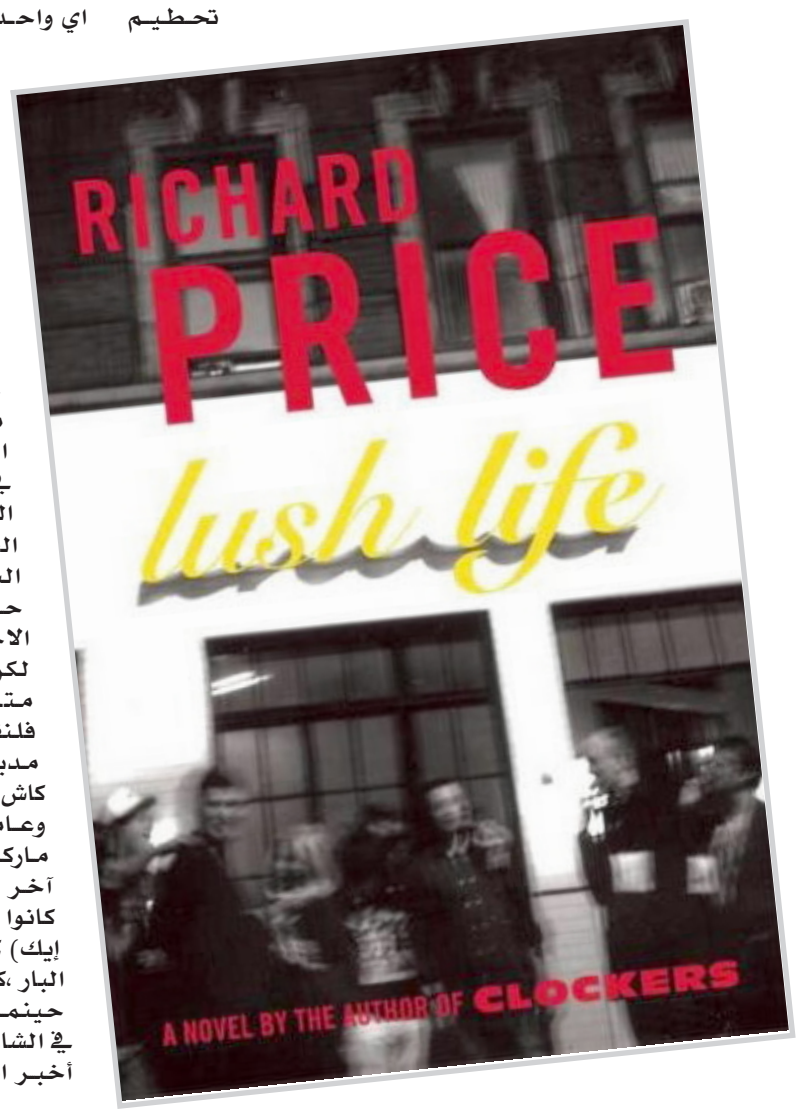

"بالعربي الفصيح" الكتاب الخمسون لشاكر النابلسي

المدى الثقافي
بيروت

صدر في بيروت وعمان عن "المؤسسة العربية للدراسات والنشر"، الكتاب الخمسون لشاكر النابلسي، بعنوان "بالعربي الفصيح: محاولات صريحة لفهم ما لم يفهم". والكتاب من ٢٥٠ صفحة، يناقش فيه النابلسي عدة موضوعات سياسية وثقافية، ويطرحها في القسم الأول من الكتاب على شكل أسئلة منها: ما حال العالم الآن لو لم يظهر الإسلام؟ هل يعيش العرب مرحلة "ما بعد الأصولية" ؟ هل يتصالح الإخوان المسلمون ويتحالفون مع الغرب؟ هل ستجتاح ثورات الجوع العالم العربي قريباً؟ لماذا نعاني أزمة في أنظمة التعليم العربي؟ هل سنشرب نفطنا عام ٢٠٢٠؟ كيف ولماذا ومتى "يتدخل" الآخرون في شؤوننا؟ هل سيحارب عرب ١٩٤٨ في الجيش الإسرائيلي؟ لماذا كسرنا الأقلام وقطعنا الألسنة؟

وفي الجزء الثاني من الكتاب يطرح النابلسي عدة محاولات لفهم ما لم يُفهم. ومن هذه المحاولات، عودة الوعي الديني وتقدم الليبرالية، وأن الإرهاب ضد الحداثة وليس ضد الاحتلال فقط. ويناقش مسألة الجنس والموت في انتحار الإرهابيين. ولا يفوته تتبع النهضة والسقوط في الحركات الإسلامية الأردنية، والحديث عن التجربة الإسلامية السياسية في تركيا من خلال ممارسات "حزب العدالة والتنمية". وتتضح أمامه أزمة القيادة القومية العربية فيما يعاني العالم العربي اختناقات، فيتحدث عن هذه الأزمة. وتلفت نظره ظواهر كثيرة في العالم العربي تمر مر الكرام، ولكنه يستوقفها، ويستنطقها، ويكتب عنها، ومنها صمت الحجارة وخيانة المثقفين، وتقرير "فينوغراد"، والسوق الخليجية المشتركة، وصورة العرب في المرآة الثقافية الإيرانية.

ويقول النابلسي في مقدمة كتابه:

" في نهاية القرن العشرين وبداية القرن الحادي والعشرين، كثرت أسئلة العقل العربي نتيجة لما تحقق من هامش حرية، ولو قليلاً، بفضل التغيرات السياسية التي حدثت في الشرق الأوسط، وبفضل ثورة الاتصالات والمعلومات التي تحققت في هذه المرحلة، وليس بفضل إيماننا-نحن العرب-بثقافة الأسئلة. وكما فرضت ثورة الاتصالات والمعلومات علينا هذا الواقع الجديد، فسوف تفرض علينا حداثة الغرب-شئنا أم أبينا- الحداثة التي ينادي بها المثقفون الليبراليون العرب الآن، والتي تمانعها وتحاربها المؤسسة الدينية العربية، بينما تأخذ بها المؤسسة الإسلامية الآسيوية (تركيا، اندونيسيا، ماليزيا، الباكستان). علماً أن بعض الباحثين كالباحث التونسي محمد الحداد يقولون، "أن الثورة التكنولوجية الثالثة (ثورة المعلومات والاتصالات؛ أي الانترنت) لا توفر مجالاً واسعاً للتفكير النقدي، وإن جاءت فتحاً في مجال توفر المعلومات ودمقرطتها، لأن التدفق العالي والعشوائي للمعلومات يؤدي إلى ضمور ملكة النقد وتضييق إمكانية السبر والتمحيص ورفع فرص التلاعب بالعقول، وذلك بنفس القدر المترتب عن تدفقها الشحيح المُراقب سابقاً".

حصاد المطابع

يحدث بالبلاد السعيدة

صدرت للروائي الشاب ضياء الخالدي روايته الاولى (يحدث بالبلاد السعيدة) وتدخل هذه التجربة المهارة البرشتية في دراما الرواية الشابة حيث تتحول كوابيس الراوي الى صور اخرى اكثر قسوة وشحوباً وقد نجح الخالدي في رسم صور مشدودة روائيا وفي إمتاع القارئ.

حزينيا

عن دار الابداع في النجف الاشرف صدرت حديثاً مجموعة قصصية للقاصة فليحة حسن بعنوان (حزينيا) ضمت أربع عشرة قصة قصيرة تميزت بلغتها الشعرية وصورها الدرامية التي تمزج الحلم بالحقيقة والتراث بالحداثة والتجريب وصور الألم والحزن.

السموّ الملكي

صدر عن دار المأمون للترجمة والنشر رواية للكاتب والاديب الألماني توماس مان قام بترجمتها نوفل محمد فوزي ، وتعد واحدة من اهم الاصدارات للدار هذا العام . تتحدث الرواية عن أحداث تدور داخل أروقة قصر ملكي.

ارتباك المناخ

الكتاب للمؤلف روي سبنسر يتحدث عن ظاهرة الانبعاث الحرارى، عارضا كل الآراء بشأنها، بدءاً من الحقيقة المزعجة التى أطلقها ؟آل جور؟، إلى التشكك بخصوص آثار انبعاث ثانى أكسيد الكاربون.

الكتاب يحذر بشدة من آثار ظاهرة الاحتباس الحرارى وتغير المناخ العالمى، موضحا آثاره المختلفة على الأرض والمناخ والإنسان والحضارات .